مجلة الباحث

موقع المجلة: https://journals.uokerbala.edu.iq/index.php/bjh/

مؤتمر مانشستر 1945وصياغة القومية الأفريقية الحديثة

رشا علي فضل

أ.د. حسين جبار شكر

معلومات الورقة البحثية

الكلمات الرئيسية:

الوحدة الافريقية، مؤتمر مانشستر،القومية الافريقية الحديثة،الفكر السياسي الافريقي،

المستخلص باللغة العربية:

الملخص

يهدف هذا البحث إلى دراسة مؤتمر مانشستر الخامس، بوصفه محطة مفصلية في تاريخ القومية الإفريقية الحديثة، وذلك من خلال تحليل سياقه التاريخي، ومداولاته، وانعكاساته على مسار الحركات التحررية في القارة الإفريقية. اعتمد البحث على المنهج التاريخي التحليلي، عبر تتبع الظروف الدولية بعد الحرب العالمية الثانية، وأثرها في تهيئة المجال أمام بروز وعي قومي جديد، بالإضافة إلى تحليل خطابات ومواقف أبرز المشاركين في المؤتمر مثل كوامي نكروما، جومو كينياتا، وجورج بادمور، توصل البحث إلى أن المؤتمر مثّل نقلة نوعية في الفكر السياسي الإفريقي، إذ حوّل مطالب الإصلاح المحدودة إلى مشروع تحرري شامل يركز على الاستقلال التام، ورفض التمييز العنصري، ومناهضة الاستغلال الاقتصادي. كما أظهر أن المؤتمر أسهم في خلق أرضية مشتركة للتنسيق بين القادة الأفارقة في الداخل والشتات، وأعطى دفعة قوية لمسار الوحدة الإفريقية. وقد كان له أثر مباشر في بروز جيل من الزعماء قادوا فيما بعد حركات الاستقلال، مستلهمين قراراته ومبادئه، خلص البحث أيضًا إلى أن أهمية مؤتمر مانشستر لا تكمن في كونه تجمعًا سياسيًا فحسب، بل في كونه حدثًا تأسيسيًا أعاد صياغة الهوية القومية الإفريقية على أسس وحدوية، وأعطى للتحرر بعدًا فكريًا وتنظيميًا جديدًا. ومن ثم، فإن دراسة هذا المؤتمر تسمح بفهم كيف انتقلت القومية الإفريقية من مجرد فكرة احتجاجية إلى مشروع سياسي قاري ساهم في إنهاء الاستعمار وتشكيل الدول الإفريقية المستقلة في النصف الثاني من القرن العشرين.

doi: https://doi.org/10.63797/bjh.

المقدمة

يُعَدّ النصف الأول من القرن العشرين مرحلة فارقة في التاريخ العالمي، إذ تداخلت فيها نتائج الحربين العالميتين مع صعود الحركات التحررية في آسيا وإفريقيا. فقد أضعفت الحرب العالمية الثانية القوى الاستعمارية الكبرى كفرنسا وبريطانيا، وفتحت المجال أمام الشعوب المستعمَرة للمطالبة بحقها المشروع في الحرية والاستقلال. وفي هذا المناخ الدولي المتوتر، انعقد مؤتمر مانشستر الخامس عام 1945 ليشكل نقطة تحول في مسار الحركة القومية الإفريقية الحديثة، لم يكن المؤتمر مجرد اجتماع عابر، بل مثّل منبرًا التقى فيه قادة ومفكرون أفارقة وكاريبيون بارزون مثل كوامي نكروما، وجومو كينياتا، وجورج بادمور، حيث ناقشوا قضايا الاستعمار والاستغلال الاقتصادي والتمييز العنصري، وطرحوا رؤية واضحة لبناء إفريقيا حرة وموحدة. لقد وحّد المؤتمر الخطاب السياسي التحرري، ورسّخ قناعة بأن الاستقلال لن يتحقق إلا عبر النضال المنظم والتضامن بين مختلف الشعوب المستعمَرة، أهمية مؤتمر مانشستر تتجلى في كونه لم يكتف برفض الاستعمار فحسب، بل عمل أيضًا على صياغة هوية قومية إفريقية جديدة تتجاوز الانقسامات القبلية والحدود المصطنعة التي خلفها الاستعمار. ومن هنا، فإن دراسة هذا المؤتمر لا تساعد فقط على فهم بدايات القومية الإفريقية الحديثة، وإنما تفسر كذلك كيف انتقلت فكرة التحرر من مجرد مطلب إصلاحي إلى مشروع سياسي شامل توّج لاحقًا باستقلال معظم الدول الإفريقية خلال خمسينيات وستينيات القرن العشرين.

كانت جذور الحركة القومية الإفريقية ترجع إلى مرحلة ما بعد العبودية وتقسيم القارة، وعُقد أول مؤتمر قومي إفريقي في لندن عام 1900. غير أن المؤتمر القومي الإفريقي الذي انعقد في مانشستر عام 1945 شكّل نقطة تحوّل محورية، إذ انتقلت فيه الحركة من مرحلة ركود إلى مرحلة حيوية ونشطة، تسارعت تلك النقلة النوعية بفعل تداعيات الحرب العالمية الثانية، وأفرزت سنوات الحرب وعيًا جديداً لدى عدد كبير من القادة الأفارقة، صغاراً وكباراً، تجاه الظلم الواقع على الإنسان الأسود، خاصة في موطنه الأصلي، إفريقيا[1].

كان الأوان برأيهم لاتخاذ خطوات إيجابية نحو التحرر. ومن أبرز نتائج ذلك المؤتمر التاريخي، إعلانٌ واضح يطالب بحق الشعوب المستعمَرة في تقرير مصيرها، ويدعو إلى إنهاء جميع أشكال السيطرة الإمبريالية، سواء السياسية أو الاقتصادية، على تلك الشعوب[2].

في رسالة عبّرت عن حسن النيّة، كتب ويليام إدوارد بورغاردت ديبوا، قائلاً:**"اليوم، وأنا في عامي الخامس والتسعين، يسعدني أن أكتب مقدمة لهذا التاريخ الموجز للمؤتمر الإفريقي، الذي أعدّه صديقي جورج بادمور، والذي يتضمن الكثير من كتاباتي. إن هذا العمل يمثل رسالة يجب أن تُحفَظ وتُنقل، لتكون مصدر إلهام للإنسانية، خاصة أولئك الذين ينتمون إلى الأعراق الأكثر تعرضاً للظلم، ليدركوا أنهم جزء لا يتجزأ من الإنسانية جمعاء"**[3].

عبّر جومو كينياتا في رسالته عن ترحيبه بإعادة نشر تقرير مؤتمر عام 1945، مشيراً إلى أنه كان محطة بارزة في مسار نضال الشعب الإفريقي من أجل التحرر والوحدة. وأضاف: **"أشعر بالفخر لمشاركتي في أعمال ذلك المؤتمر. لقد شكّلت الحركة القومية الإفريقية ركيزة أساسية في قارتنا، ومع اتساع مساحة الحرية يوماً بعد يوم، تتزايد أهميتها بشكل ملحوظ. إنني على يقين بأن تقرير مؤتمر عام 1945 سيحظى بمكانة مرموقة في الأدبيات السياسية الإفريقية، وسيساهم كذلك في تذكيرنا بالفضل الكبير الذي ندين به جميعاً إلى الجهود الرائدة التي قدمها جورج بادمور" [4].**

يتضح مما سبق أن المؤتمر الإفريقي الخامس شكّل نقطة التقاء حيوية في مسيرة النضال ضد الهيمنة الاستعمارية، وأن ما صدر عنه من قرارات وبرامج أمدّ القادة الأفارقة بالأسس اللازمة لمواصلة جهودهم التحررية في أوطانهم.

فتحت الحرب العالمية الثانية آفاقاً بالأسس اللازمة لمواصلة جهودهم التحررية في أوطانهم. فتحت الحرب العالمية الثانية آفاقًا جديدة أمام جورج بادمور والحركة المناهضة للاستعمار، وساهمت في رسم مسارات نحو الحكم الذاتي. وقد أسس بادمور شراكة استراتيجية مع كوامي نكروما، مكَّنت من تفعيل فكرة الوحدة الإفريقية، كما تم تصورها وتطويرها في العاصمة البريطانية. وعُدَّ التحرر السياسي بمثابة بوابة رئيسية نحو التنمية الاقتصادية وتحديث المجتمعات الخاضعة للاستعمار[5].

رأى كلٌّ من بادمور ونكروما أن الوحدة الإفريقية، التي تم ترسيخها خلال المؤتمر الخامس في مانشستر، تمثّل الوسيلة الأنجع لتحقيق تلك الأهداف. ومع ذلك، لم تعد تلك الأفكار إفريقية بالمعنى الكامل إلا بعد أن توصّل بادمور إلى قناعة بأن المشروع الإفريقي الشامل لا بد أن يتجاوز المفردات الثورية الصدامية، خاصة في ظل أجواء الحرب الباردة، إذ كان ارتباط "الأممية السوداء" بالشيوعية يُشكّل عائقًا أمام القبول الدولي [6].

إن ذلك التصور للوحدة الإفريقية يتجاوز الانقسامات الطبقية، والعرقية، والقبلية، والدينية، وهدف إلى خلق فرص متساوية للجميع، بإذ تُكافأ الموهبة على أساس الجدارة. كما أن رؤيته تتخطى حدود الدولة القومية، إذ سعى إلى تشكيل اتحاد شمل الدول والمناطق ذات الحكم الذاتي، ضمن كيان متكامل عُرف باسم الولايات المتحدة الإفريقية[7].

شكّل نجاح الفعاليات التي نظّمها بادمور ورفاقه في نهاية الحرب دافعاً قويّاً لمواصلة النضال خلال مرحلة ما بعد الحرب، إلى جانب ديبوا. وسعى بادمور إلى تحويل الاتحاد الإفريقي إلى كيان فعّال يتمتّع ببرنامج واقعي وواضح، مستفيداً من الشبكات الإفريقية التي بناها طيلة مسيرته، ومن مساهماته في الصحافة المناهضة للاستعمار. وادت مقالاته وافتتاحياته دوراً مهمّاً في نشر الوعي وتعبئة الرأي العام وكانت إقامته في لندن بمثابة مركز توافد للنشطاء والمثقفين المهتمين بتحرير المستعمرات، وأحسن استغلال تلك الشبكة لدعم قضايا التحرر، وربط نضالات الشعوب الإفريقية ببعضها البعض. كما أعلن، إلى جانب جواهر لال نهرو وديبوا، أنه ممثّل للاتحاد الإفريقي في اجتماع تعزيز التضامن الإفريقي الآسيوي، الذي انعقد في الهند[8].

واصل بادمور جهوده لتشكيل جبهة من الشعوب المستعمَرة، وتمكّن في كانون الأول 1946 من جمع عدد من المنظمات التي لم تكن قادرة على تحقيق وعود إعادة الإعمار ما بعد الحرب، ولكنها توحّدت حول رؤية جديدة لمكانتها في النظام الدولي. ومن تلك المنظمات: اتحاد المنظمات الهندية في بريطانيا، حركة "أفريقي واحد"، الاتحاد النيجيري في بريطانيا وأيرلندا، اتحاد العمال الهنود، اتحاد طلاب جزر الهند الغربية، واتحاد طلاب غرب إفريقيا [9].

سعى بادمور، من خلال ذلك التجمع، إلى تعميم مقررات مؤتمر مانشستر الخامس، ونقلها إلى المستوى الدولي من خلال شبكة العمل الإفريقية الشاملة ووسائل الإعلام المطبوعة المتاحة. وتحدّى بادمور الاتجاهات

الأيديولوجية السائدة في تلك المدة، بما في ذلك الرأسمالية، والشيوعية، والاستعمار، آملاً أن تتحوّل أعمال الاتحاد الإفريقي إلى برنامج نضالي معتمد لدى المنظمات الوطنية في المستعمرات، وأن يتم توسيع الاتحاد وتعميم مقرراته تدريجيّاً [10].

في المؤتمر، التقى نكروما بالعديد من الشخصيات التي كانت ناشطة سياسياً بالفعل، أو أصبحت كذلك بعد عودتها إلى أوطانها، مثل: من بينهم **جو أبياه** (Joe Appiah)، **وج. أيكووي نيكوي، وج. سي. دي جرافت جونسون** (J. C. de Graft-Johnson) من ساحل الذهب (غانا)، وكذلك **أوبافيمي أولوو وهـ. أو. ديفيز** (H. O. Davies)، و**جاجا واتشووكو** (Jaja Wachuku)، و**ماغنوس ويليامز**(Magnus Williams) من نيجيريا ومن نياسالاند (مالاوي حاليًا) برز **هاستينغز كاموزو باندا** (Hastings Kamuzu Banda)، ومن كينيا القائد المعروف **جومو كينياتا،** ومن سيراليون الناشط السياسي والنقابي **آي. تي. إيه. والاس جونسون** كما يُذكر أيضًا من غانا **إيمانويل كوي أدجي** (E. K. A. Djei)، وأثبت هؤلاء أنهم كانوا جهات اتصال بالغة الأهمية في السنوات التالية. لم يكن هناك ممثلون عن المستعمرات الفرنسية في إفريقيا، بينما حضر مرسي سعد الدين المؤتمر بصفته مراقبًا عن مصر[11].

وصدرت عن المؤتمر قرارات رئيسية دعت إلى الاستقلال، أو على الأقل الحكم الذاتي، لجميع المستعمرات البريطانية والفرنسية والإيطالية في أفريقيا وجزر الهند المغربية. وأكد إعلان المؤتمر، الذي صاغه نكروما، على أهمية تشكيل جبهة موحدة في النضال ضد الاستعمار، إذ ورد فيه: **"**إن النضال من أجل السلطة السياسية هو الخطوة الأولى نحو التحرر الاجتماعي والاقتصادي والسياسي الكامل، وهو الشرط الضروري لتحقيقه". ودُعي العمال إلى استخدام الإضراب والمقاطعة كسلاح فعّال، بينما طُلب من المثقفين والطبقات المهنية تشكيل تعاونيات والنضال من أجل الحقوق النقابية، وحرية الصحافة، وحرية التجمع[12].

اختُتم الإعلان بالادبارة الشهيرة: **"يا شعوب العالم المستعمَرة والتابعة، اتحدوا!"** وادّعى نكروما أن سبب النجاح الكبير لذلك المؤتمر هو أن المندوبين كانوا ولأول مرة رجالاً عمليين، ورجالًا من صفوف العمال. ووفّر المؤتمر الخامس منفذاً للقومية الإفريقية، وأسهم في إبقاء الوعي السياسي الإفريقي حيّاً. أدّى التركيز على ضرورة الوحدة الإفريقية إلى إثارة اهتمام الناشطين السياسيين منذ وقت طويل، مثل آتشي نيكوي(Achi Nikoi)ووالاس جونسون، إذ رأوا ضرورة تشكيل منظمة جديدة. وناقشوا هذا الأمر مع كوجو بونسيو(Kojo Bonsiu)، وتيكول أونورينر(Tikul Onurriner)، وينكولي أكباتا (Winkole Akpata)، وأسسوا في 14 كانون الأول 1945 الأمانة الوطنية لغرب أفريقيا، بهدف تعزيز روح الوحدة والتضامن بين سكان غرب أفريقيا. وانتُخب نكروما أميناً عاماً لها، وكانت مهمة المنظمة المعلنة هي: **"الحفاظ على النضال الوطني من أجل الوحدة الوطنية لغرب أفريقيا والاستقلال المطلق، ودفعه إلى الأمام" [13].**

لعدم وجود ممثلين فرنكوفونيين (Francophones) في مؤتمر مانشستر، سافر نكروما إلى باريس لمناقشة القضايا مع نشطاء سياسيين من المستعمرات الفرنسية، مثل: ليوبولد سنغور (السنغال)، وفيليكس هوفويه بوانييه (ساحل العاج)، ولامين غي (السنغال)، وسوروس أبيشي (And Soros Abishi) (بنين). وكان جميعهم مندوبين أفارقة في الجمعية الوطنية الفرنسية. ووفقاً لنكروما، فقد خططوا، من بين أمور أخرى، لتأسيس حركة تنطلق من اتحاد الجمهوريات الاشتراكية في غرب أفريقيا[14].

كما نشرت منظمة غرب أفريقيا أهدافها في كتيب سلّط الضوء على عبارة: **"غرب أفريقيا بلد واحد: شعوب غرب أفريقيا تتحد"**. وكان الهدف هو تقديم المعلومات لتحقيق جبهة غرب إفريقية من أجل استقلال وطني موحّد، وتثقيف الشعوب، وخاصة الطبقات العاملة في البلدان الإمبريالية، بشأن قضايا غرب أفريقيا، وتعزيز روح الوحدة الوطنية والتضامن داخل غرب أفريقيا لمواجهة خطر التقسيم الإقليمي المصطنع القائم حالياً. وكان لحركة التحرير الوطني صحافتها الخاصة، وهدفها تحقيق الاستقلال الكامل وغير المشروط، وبناء مجتمع تسود فيه الحرية الفردية بوصفها شرطاً أساسياً للتنمية الجماعية. وورد في شعاراتها: **"شعوب العالم، اتحدوا! عمال جميع البلدان يدعمونكم!"** [15].

عقدت منظمة غرب أفريقيا للاستقلال(West Africa for independence) مؤتمراً في لندن في الأول من شباط عام 1946، نصّت قراراته على ضرورة مساعدة الأمم المتحدة لشعوب غرب أفريقيا في تحقيق استقلالها الفوري. ودعا إلى اتخاذ خطوات تؤدي إلى التصفية الكاملة للنظام الاستعماري، وأكدت الوثائق أن الانقسامات الإقليمية في أفريقيا مثّلت خطراً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً، بل وأمنياً، على مصالح الشعوب الإفريقية. وعدّ أن احتكار الحكومة البريطانية للمواد الخام يُعد تعدّياً على الحقوق الاقتصادية لشعوب غرب أفريقيا[16].

شدّد كوامي نكروما على أهمية الوحدة، إذ قال: **"في كل ما يتعلق بمصير غرب أفريقيا، لا ينبغي أن نسمح للاختلافات الشخصية أو القبلية أو الآراء أو النقائص أن تعيق نضالنا من أجل الوحدة... فقط من خلال الوحدة والتنظيم يمكن لغرب أفريقيا أن تجد القوة"[17].**

عُقد اجتماع آخر في السابع والعشرين من آذار 1946، تم خلاله اعتماد قرار بإحالة حالة غرب أفريقيا إلى مجلس الأمن التابع للأمم المتحدة. وأعرب القرار عن استياء بالغ من استبعاد ملايين الشعوب الإفريقية وغيرها من الشعوب المستعمَرة من التمثيل المباشر في الأمم المتحدة، وناشد مجلس الأمن ومجلس الوصاية اتخاذ خطوات تُفضي إلى تحقيق الاستقلال التام لشعوب المستعمرات بأقصى سرعة ممكنة[18].

في إطار نشر الوعي وتثقيف الشعوب، تمكّنت منظمة سكرتارية غرب أفريقيا الوطنية من جمع ما يكفي من التمويل لإصدار صحيفة شهرية. وفي آذار من نفس العام، صدر العدد الأول من صحيفة الأفريقي الجديد تحت شعار: **"من أجل الوحدة الإفريقية والاستقلال المطلق"[19].**

دعا نكروما، من خلال افتتاحياته، إلى تعزيز الوحدة القومية والأفريقية، وأُعيد نشر أهداف منظمة سكرتارية غرب إفريقيا الوطنية، إلى جانب تقارير عن نشاطاتها. كما نُشرت دعوة لتشكيل مؤتمر وطني لعموم غرب أفريقيا. وفي عام 1946 أيضًا، نشرت سكرتارية غرب إفريقيا الوطنية كتيباً صغيراً للكاتب بانكولي أوونور-رينر بعنوان الاتحاد السوفيتي في غرب أفريقيا، وجاء في مقدمته: **"غرب أفريقيا الموحدة والمستقلة وحدها هي القادرة على ضمان الأمن والسعادة والازدهار لبلدنا البائس. يجب على الجماهير أن تناضل بشكل متزايد من أجل الحرية التي تحتاج إليها بشدة. ساعدونا بأي طريقة صغيرة تستطيعون بها لإنشاء أمة غرب أفريقيا حرة ومتحدة وقوية ومستقلة. وفي نهاية المطاف، سيتم تحرير أفريقيا بأكملها من كعب الإمبريالية الحديدية، ومن الاستغلال الذي لا يرحم"[20].**

في عام 1947، نشر نكروما كتيباً بعنوان نحو الحرية الاستعمارية (Towards colonial) freedom، وهو كتاب انتقد فيه السياسات البريطانية بشدة، ودعا إلى الحرية السياسية والديمقراطية، والاستقلال التام غير المشروط، وإعادة البناء الاجتماعي، الذي وصفه بأنه: **"تحرر من الفقر، واستقلال اقتصادي"**[21].

جادل نكروما بأن: **"ما لم تكن هناك وحدة وطنية كاملة بين جميع مستعمرات غرب أفريقيا، فسيكون من المستحيل عملياً لأي مستعمرة أن تتحرر من النير الأجنبي. يجب على مستعمرات غرب أفريقيا أن تنتصر أولاً وتصبح كياناً وطنياً. ولكن كيف يمكن تحقيق ذلك؟ أولاً وقبل كل شيء: بتنظيم جماهيري من داخل المستعمرات، يشمل العمال، والشباب، وأدوات التقدم كافة"**[22].

كما أدرك جورج بادمور ضرورة أن تقود شخصية كاريزمية مشروع الوحدة الأفريقية، ووجد في نكروما الزعيم المناسب لتلك المهمة. واتحد نكروما وبادمور فكرياً في التصدي للإمبريالية والاستعمار، والدعوة إلى التنمية والتحرر في القارة الأفريقية، رغم اختلاف أساليب كل منهما، أصبح نكروما شخصية سياسية بارزة، فلم يقتصر نشاطه على اتحاد طلاب غرب أفريقيا، أو الأمانة الوطنية لغرب أفريقيا فقط، بل كان كثير السفر في أنحاء المملكة المتحدة؛ إذ ألقى خطبًا أمام العمال السود والمنظمات اليسارية، وخاصة في رابطة العمال الملوَّنين. كما ساهم في مؤتمرات نظّمتها حركات مناهضة للاستعمار، ومنظمات يسارية أخرى[23].

كان كوامي نكروما عضواً في منظمات طلابية، مثل رابطة الطلاب الأفارقة في الولايات المتحدة وكندا. وخلال وجوده في أمريكا، واجه تحديات من بعض الطلاب النيجيريين، الذين اعتقدوا أن كل إقليم استعماري يجب أن يناضل من أجل الاستقلال بشكل منفصل. غير أن نكروما سعى إلى تعزيز الوحدة بين طلاب غرب أفريقيا، مستفيداً من الصحف كوسيلة لتصوّر نضال أكثر تنظيماً وقوة [24].

تأثر نكروما بكتابات لينين، ماركس، وماركوس غارفي، وسعى للتواصل مع طيف واسع من المنظمات السياسية، من الجمهوريين إلى الشيوعيين والتروتسكيين(Trotskyists) ومن خلال التروتسكيين، التقى مع سيريل ليونيل روبرت جيمس (C.L.R. James) في هذا الإطار، بحث نكروما عن ناشطين مناهضين للاستعمار للمشاركة في تنظيم أحداث في بريطانيا بالتعاون مع تي. راس ماكونين. عُقد أحد هذه الاجتماعات في اتحاد نقابات العمال العمالي، بهدف جمع مندوبي المستعمرات لمناقشة قضية الوحدة الأفريقية والاستقلال. كما شارك نكروما في تنظيم مظاهرة لدعم الإضراب العام في نيجيريا، وأسهم، بالتعاون مع والاس جونسون، في تأسيس منظمة الأمانة العامة لغرب أفريقيا[25].

لكن علاقته مع جورج بادمور شابها توتر، بسبب ميل نكروما المتزايد للعمل المستقل، ومحاولاته رسم سياسة منفصلة عن التوجهات العامة للاتحاد الأفريقي. كان بادمور وماكونين يأملان أن يساعدهما نكروما في نشر منشورات ونصوص عموم أفريقيا، لتشكيل شبكة نضالية عابرة للحدود. إلا أن مبادرات نكروما المنفردة أثارت بعض القلق والانزعاج بين أعضاء الاتحاد بعد عودته إلى أفريقيا، بدأ نكروما في الترويج للتقارب الإقليمي، مؤمناً بأن الوحدة بين أقاليم غرب أفريقيا تمثل الطريق الأمثل لتحرير القارة. سعى إلى إشراك الناشطين من المستعمرات الفرنسية، مثل السنغال وداهومي، وعزّز، من خلال اتحاد طلاب غرب أفريقيا، التواصل مع المتحدثين بالفرنسية[26].

بدأت صحيفة نيو أفريكان(New African)، لسان حال سكرتارية غرب إفريقيا الوطنية، في آذار 1946، بنشر مقالات باللغة الفرنسية، ما ساعد على توسيع نطاق أفكار الشبكة في المستعمرات البلجيكية والفرنسية. وأثبتت الباحثة ماركا شيروود (Sherwood Marca) نجاح سكرتارية غرب إفريقيا الوطنية في إيصال رؤاها من خلال الصحف الأفريقية[27].

غير أن بادمور رفض مبادرة نكروما لإنشاء شبكة وطنية لغرب أفريقيا، معتبراً تقاربه مع الشيوعيين خطراً استراتيجياً على مستقبل القضية الأفريقية. تجنّب بادمور الصدام المباشر، رغم الاستجوابات التي تعرّض لها نكروما من أعضاء الاتحاد، كان نكروما يدرك أن بادمور يتمتع بهيبة وعلاقات واسعة في غرب أفريقيا، ما يؤثر سلباً على صورته إن دخل في صدام معه[28].

على الرغم من ذلك، استمر نكروما في التعبير عن رؤى سياسية مستقلة، ركّز فيها على النضال الداخلي في القارة الأفريقية، دون أن يغفل عن الإنجازات الإقليمية. وفي مؤتمر مانشستر عام 1945، دُعمت أفكاره حول إنشاء حركة موحدة للاستقلال[29].

عاد نكروما إلى ساحل الذهب في عام 1947، وعُيّن أميناً عاماً لـ"مؤتمر الساحل الذهبي المتحد"، الذي تشكل على يد محامين وتجار، وأصبح قاعدة لنشاط الاستقلال. في تلك المدة، كان المناخ العالمي مهيأً، خاصة بعد استقلال الهند. وأثار تأسيس تلك الحركة قلق مكتب المستعمرات البريطانية، الذي رأى فيها نواة لحركة استقلال واسعة[30].

بذل بادمور حينها جهداً كبيراً لدعم تلك الحركة شعبياً وإعلامياً من لندن. وتكوَّن مجلس إدارة المؤتمر من محامين وأطباء ورجال أعمال، مثل فرانسيس ويليامز (Francis Williams)، ويليام أوفوري أتا (William Ofori-Atta)، وجوزيف بواكي دانكوا(J.B. Danquah) وجوزيف كيسي ديجرافت جونسون (J.C. De Graft-Johnson)[31].

في كانون الثاني1947، بدأ نكروما العمل الرسمي في قيادة المؤتمر، وسعى إلى بناء جبهة وطنية متماسكة تضم قطاعات واسعة من الشباب والطبقات الشعبية. وفي شباط 1948، شهدت أكرا مقاطعة للبضائع الأوروبية، ثم اندلعت أعمال عنف أدت إلى مقتل جنود سابقين مثل الرقيب ني آرجيتي Sergeant Ni (Argeti)[32].

اعتُقل نكروما وعدد من القادة، مثل أوفوري أتا، دانكوا، وأكو أدجي(Aku Adjei)، وتم تشكيل لجنة وانسون للتحقيق في الأحداث. بعد شهر، أُفرج عنهم، مما عزّز من مكانتهم كرموز وطنية، وأسهم في تحوّل الحركة إلى طابع شعبي ثوري. ورغم أن نكروما أنكر انتماءه رسميًا إلى الحزب الشيوعي البريطاني، فقد أقر بتأثره ببعض أفكاره، واعترف بعلاقته بـ بالم دوتPalm dot ، نائب رئيس الحزب، وأوضح أن بطاقة العضوية التي كانت بحوزته كانت نموذجاً لاستخدام إداري فقط[33].

في معرض دفاعه، قال: **"منذ عودتي إلى الساحل الذهبي، لاحظت أن الناس لم يكونوا يفكرون من منظور غرب أفريقي موحد، بل يسعى كل إقليم لوضع خاص به فيما يتصل بالحكم الذاتي. لذلك، رأيت أن عملي يجب أن ينطلق من هذا الواقع"**[34].

عدَّ نكروما أن استقلال الأقاليم هو مقدمة ضرورية لتحقيق وحدة غرب أفريقيا، بينما كان بادمور يصر على أن القومية البرجوازية وسيلة تكتيكية يجب استخدامها بحذر، في سياق النضال الأممي المرتبط بثورة الطبقة العاملة[35].

كما وُجّه لنكروما اتهام بالانتماء إلى مجموعة سرية من أعضاء سكرتارية غرب إفريقيا الوطنية تدين له بالولاء، وكان شعار المجموعة: "الخدمة، التضحية، والمعاناة"[36]، وهدفها إنشاء اتحاد الجمهوريات الاشتراكية الأفريقية من خلال نضال ثوري واسع النطاق في القارة [37].

في نهاية المطاف، كتب بادمور رسالة إلى نكروما، قدّم فيها إرشادات لبناء دولة مستقلة، حرة، اشتراكية، وذاتية الحكم[38]. ونما الحزب حتى الآن حول الشعار (الحكم الذاتي الآن والعلم)، وشكلت شخصيته وتلك العناصر عوامل مفيدة في المرحلة الأولية من الحركة. لكن بما أنها حققت هدفها، فإن العاطفية أصبحت تترك فراغاً. تَعيَّن علينا، من الآن فصاعداً، أن نعمل على صياغة فلسفة أساسية كدليل للأفعال المستقبلية[39].

أشارت تلك المراسلات بينهما أيضاً إلى أحد مخاوف بادمور فيما يتعلق بنكروما؛ إذ أدرك بادمور أن صورة نكروما على العلم لن تكن كافية لدعم النضال من أجل الاستقلال. نوى بادمور أن تكون عملية استقلال ساحل الذهب بمثابة ثورة في الواقع [40]. ورأى أن المعارضة لنكروما تتكوَّن، إلى حد كبير، من **"الأفارقة من الطبقة المتوسطة الرجعية، والمؤيدين للبلهاء البريطانيين، ولكن أيضاً من قبل الزعماء المحليين والأرستقراطيين الذين أبدوا اهتماماً برفاهيتهم الفردية أكثر من اهتمامهم باحتياجات الناس"[41].**

سعى بادمور إلى بناء صورة نكروما باعتباره زعيماً حقيقياً ورغم مخاوفه، فقد وصفه بأنه **"ثوري، ذلك الشخص الذي لم يستسلم أبداً، ولا يتوقف عن الاستماع لمن يحتاج إليه. إنه هو نفسه بالنسبة للجميع، غني أو فقير، أسود أو أبيض... الناس العاديون يحبونه"**[42].

-حزب جماهيري مناهض للاستعمار

تحولت لجنة منظمات الشباب إلى منظمة الشباب الكونفدراليةYouth (Confederation)، التي تأسست في آب 1948، بعد إطلاق سراح نكروما من السجن، وأصبحت جزءاً من اتحاد الكنائس الكونفدرالية. شغل كوجو بوتسيو(Kojo Botsio) منصب السكرتير، بينما تولى كوملا غبيدياما(Komla Gbediama) الرئاسة. وفي وقت لاحق، أصبحت تلك المنظمة النواة التي انطلق منها حزب الشعب المؤتمري. وابتداءً من حزيران 1949، انبثق الحزب الشيوعي الفلبيني من النزاعات الداخلية في اتحاد العمال المتحد؛ إذ عمل الجزء الأكثر راديكالية وتقدماً على إنشاء حزب مستقل**[43].**

ظهرت الفروقات بين منظمة الشباب الكونفدرالية واتحاد المؤتمر لساحل الذهب الموحد (United Gold Coast Convention)في مطالبها الخاصة بشأن الحكم الذاتي. ففي حين طالبت نقابة المهن الهندسية والميكانيكية بـ"الحكم الذاتي في أقصر وقت ممكن"، طالب حزب الشعب الكمبودي، الذي تم تشكيله حديثاً، بـالحكم الذاتي الآن. وظهرت هذه الاختلافات بالفعل منذ بداية التقارب بين نكروما، انضم نكروما إلى اتحاد الكنائس الميثودية(Union of Methodist Churches)في غرب أفريقيا، فسأله القادة كيف سيوفّق بين رغبته في الوحدة في غرب أفريقيا، كما دعت إليها الأمانة الوطنية لقرب أفريقيا، وبين الأهداف الوطنية لاتحاد

المؤتمر لساحل الذهب الموحد، وهو ما كان بالفعل مصدر احتكاك بينه وبين بادمور. فأجاب نكروما بذكاء أنه "يؤمن بالتضامن الدولي". ومع ذلك، حافظ نكروما على قربه من الجماهير، وعلى الجانب الأكثر جذرية في النضال. من أجل ذلك، احتفظ بجوانب الاستقلال التي كانت موجودة في تفكير بادمور **(44)**.

تعارضت مطالبة نكروما بالحكم الذاتي الفوري مع النظرة التدريجية والحذِرة التي تبنّتها مجموعة دانكوا. وظهر الانقسام بين القطاعات المرتبطة بدانكوا(Badanqua)، وتلك المرتبطة بالحزب الشيوعي الكمبودي المستقبلي المرتبط بنكروما، على شكل انقسامات طبقية واضحة المعالم، ومع تزايد التعبئة من جانب القطاعات الشعبية في ساحل الذهب، والنفور المُعلن من هذه المجموعة من قبل اتحاد نقابات العمال في عوام وقادته، تمكن نكروما، من خلال حزب الشعب الكمبودي، من استيعاب هذه القطاعات في حزبه ومنح نضالاتهم معنى سياسياً[45].

كان نكروما يؤمن بقدرة هذه القطاعات على تحويل البلاد إلى دولة حديثة، واعتقد أن الجماهير سترتقي إلى مستوى المواطنين المستقلين والمؤهلين للمشاركة في الحياة السياسية. انسجمت تلك الرؤية لنكروما مع التحليلات التي قدّمها جورج بادمور، وتعكس أيضاً المعتقدات الأيديولوجية التي تجلّت في المؤتمر الخامس لنكروما في مانشستر(Nkrumah in Manchester)، بدأ حزب الشعب حملة تحت شعار (رجل واحد، صوت واحد)، وقد شكّلت المطالب بالمساواة، والحرية، والاقتراع العام، الأساس الأيديولوجي الذي مكّن الحزب من بناء قاعدة اجتماعية صلبة**(46)**.

غير أن الحكومة الاستعمارية، القلقة من الصعود السريع للجماهير، بادرت إلى تشكيل لجنة كوسى عقب نشر تقرير لجنة واتسون، من أجل دراسة المقترحات الدستورية الخاصة بساحل الذهب.ونصّت التوصيات على حصر حق التصويت بالرجال والنساء البالغين من العمر أكثر من 25 عاماً، شريطة أن يكونوا ملتزمين بسداد الضرائب والرسوم، في الخامس عشر من كانون الأول 1949، أطلق نكروما برنامجه المعروف بـالعمل الإيجابي (Affirmative action)، الذي هدف إلى تحقيق استقلال ساحل الذهب من خلال تعبئة الجماهير لصالح مبادرات لاعنفية، كالاعتصامات والعصيان المدني، منذ شهر تشرين الثاني، كان نكروما والحزب الشيوعي الكمبودي يطالبان المكتب الاستعماري بتشكيل جمعية تأسيسية تمنح الحكم الذاتي، مما كان من شأنه أن يحوّل ساحل الذهب إلى منطقة تحت السيطرة البريطانية، ورغم ذلك، رفضت الحكومة الحضرية الاعتراف بالجمعية التأسيسية، ولم تكن مستعدة للدخول في أي مفاوضات مع نكروما، في الحادي عشر من كانون الثاني 1950، وبعد حملة قمع فاشلة حاولت الحكومة الاستعمارية من خلالها تفريق المظاهرات، تصاعدت حدّة المواجهة بين الطرفين[47].

تم اعتقال نكروما وقادة آخرين من الحزب الشيوعي الفلبيني، وفرضت الحكومة الاستعمارية سلسلة من التدابير التقييدية. ورغم أن السعي إلى استقلال ساحل الذهب اتّسم بالمفاوضات والإجراءات الإيجابية، إلا أن المرحلة كشفت عن توتر شديد بين الحركات المناهضة للاستعمار والحكومة البريطانية، وأُنشئت ميليشيات مدنية معادية للسود من السكان الراوديين، واستخدمت السلطات القوة ضد المتظاهرين[48].

مع ذلك، نجحت التعبئة الجماهيرية في التحوّل إلى نشاط انتخابي. وعلى الرغم من سجنه، حصل نكروما على (٩٨,٥٪) من الأصوات في الانتخابات التشريعية العامة في شهر شباط ١٩٥١، إذ فاز حزب

الشعب بأغلبية المقاعد في الكونغرس، في ضوء ذلك النجاح، أُطلق سراح نكروما والقادة الآخرين، مما مهّد الطريق لصعوده إلى السلطة الفعلية، من خلال موقعه القيادي في برنامج العمل الإيجابي. وفُهِم العمل الإيجابي آنذاك بشكل خاطئ على أنه استمرار مباشر لأفكار الوحدة الإفريقية والاستراتيجيات التي طُرحت في مؤتمر عام ١٩٤٥ (49).

تمثّلت تلك الاستراتيجيات في الإضرابات، والمقاطعات، والنضال اللاعنفي كوسيلة لتحقيق الاستقلال. وقد اتخذ الوحدويون الأفارقة في لندن ومانشستر قراراً سياسياً يقضي بتقليل العنف بكل الوسائل الممكنة، مع التركيز على ما أسموه الإجراءات الإيجابية اللاعنفية، ضمن النطاق الدستوري الذي ينبغي أن تسير فيه النزاعات السياسية مع القوى الاستعمارية(50).

تأثّر نكروما بتجربة مهاتما غاندي(Mahatma Gandhi)، وكان لاستقلال الهند تأثير بالغ على المثقفين السود في لندن. رأى جورج بادمور أن الهند تمثل الإمكانية الأقوى لتحقيق الاستقلال، وعلى غراره، اعتقد نكروما بوجود طريقين لنيل الحكم الذاتي إما من خلال الضغط الأخلاقي القائم على شرعية القضية والمعنويات العامة والتعاطف الشعبي، أو عن طريق الكفاح المسلح. وقد اختار نكروما الطريق الأول، رافضاً الخيار المسلح، ومؤكداً على الطابع الدستوري والقانوني في النضال عرف نكروما الإجراءات الإيجابية من خلال الحملات التعليمية في الصحافة، والعمل الدستوري القائم على تنفيذ الإضرابات، والمقاطعات، وحملات عدم التعاون المستندة إلى مبادئ اللاعنف. ونظراً للتخلف التعليمي في البلدان المستعمَرة، فإن معظم الناس لم يكونوا قادرين على القراءة، ولم يكن لديهم سوى وسيلة واحدة للفهم، وهي العمل(51).

وصل بادمور إلى ساحل الذهب في شهر نيسان 1951 لحضور الاجتماع الأول للجمعية التشريعية الجديدة، وشهد تنصيب نكروما زعيمًا للحكومة أثناء وجوده في أكرا. ذكرت الصحافة المحلية آنذاك أن بادمور سافر إلى أنحاء البلاد لحضور فعاليات الحزب الشيوعي الفلبيني، مؤكداً أن الحكم الذاتي والتنمية الاقتصادية يجب أن يسيرا جنباً إلى جنب. وأعلن أن الجماهير من العمال الحضريين، والحرفيين، والتجار، والصفارين، ونساء السوق، والصيادين، ورجال الدين، ومعلمي المدارس الابتدائية، والمجتمعات الريفية الواسعة، أصبحوا هم بناة تاريخ ساحل الذهب(52).

نشر بادمور كتاباً عن البلاد بعنوان ثورة تكلّفها الذهب: نضال شعب أفريقي من العبودية إلى الحرية، سعى فيه إلى تتبع تطور القومية في ساحل الذهب، بدءاً من اتحاد الأشانتي(Ashanti Federation)، مروراً بنشوء حزب الشعب، وتطور الحركة الوطنية بقيادة كوامي نكروما. استهل بادمور كتابه بالإشادة بالقيم الديمقراطية المتجذّرة في تاريخ مؤسسات ساحل الذهب، مشيراً إلى أن سلطة اتخاذ القرار لدى الزعماء المحليين كانت ترتكز على التشاور الشعبي وأثار الكتاب جدلاً واسعاً، وتعرّض لانتقادات شديدة بسبب نبرته المساندة لحزب الشعب وقائده نكروما، في مقابل انتقاده اللاذع للمعارضة، لاسيما حزب الشعب المؤتمري. وقد مُنع الكتاب من دخول عدد من المستعمرات البريطانية في شرق أفريقيا، مثل تنجانيقا، وكينيا، ونياسالاند(Tanganyika, Kenya, and Nyasaland)، بعدما عدّه وزير المستعمرات مخالفًا للمصلحة العامة. ومع ذلك، أصر بادمور على أن طريق الاستقلال الحقيقي يمر عبر تجاوز البُنى القبلية التقليدية، وتبني مؤسسات سياسية واقتصادية حديثة(53).

صرّح كوامي نكروما بأن شعب ساحل الذهب امتلك الحق في حكم نفسه. وقدّم جورج بادمور ساحل الذهب ببراعة كدولة تسعى، بلا لبس، نحو الحكم الذاتي والحرية، عندما علّق على زيارة وزير الدولة لشؤون المستعمرات البريطاني، أوليفر ليتلتون (Oliver Littleton)، في حزيران عام 1952، وذلك خلال الانتخابات المحلية للمجالس، يذكر أوكايس(Okais) أن الوزير البريطاني استُقبل، من أكرا في الجنوب إلى كوماسي(Kumasi) في الشمال، بمظاهرات قومية حاشدة، رُفعت خلالها لافتات كُتب عليها شعارات مثل: نريد الحكم الذاتي الآن وأعطونا الحرية أو الموت. وبدا ساحل الذهب بلداً متماسكاً، خالياً من النزاعات القبلية، وأكد زعيم الأشانتي(Ashanti) أن السكان المحليين يدعمون نكروما في مساعيه لتعزيز النظام الدستوري، وذلك في إطار نجاح النظام الحزبي[54].

كان بادمور مهتمًا بتمهيد الطريق للتأكد من أن ساحل الذهب مهيأ للانتقال السريع نحو الحكم الذاتي. وحذّر من أن أي تأخير في تلك المرحلة قد يؤدي إلى أزمة سياسية خطيرة، خاصة أن البلاد كانت قد تغلبت بالفعل على التحديات الكبرى. كما أشار إلى أن الزعماء التقليديين يمكنهم، بحكم مكانتهم، أن يؤدوا دور القادة الأخلاقيين، ويسهموا في بناء مجتمع ديمقراطي حديث وقوي[55].

فيما يتعلق بالعلاقات الخارجية، اقترح الحزب الشيوعي الفلبيني، الذي كان له تفاعل مع الحركات الإفريقية، العمل مع الحركات القومية الاشتراكية والديمقراطية في إفريقيا وخارجها، ودعم إقامة اتحاد لغرب إفريقيا، وتعزيز التكامل الاقتصادي القاري. من خلال الوحدة بين شعوب إفريقيا وأحفادهم. وعلى الرغم من أن الحزب أبدى استعداده للتعاون مع الحركات الاشتراكية العالمية، فإن الخطاب الماركسي لم يكن صريحاً، وذلك بما يتماشى مع الرؤية الإفريقية الشاملة التي تم تطويرها في مؤتمر مانشستر عام 1945. وركّز نكروما على الراديكالية الإفريقية على المستوى القاري، لاسيما في منطقة غرب إفريقيا، مبتعداً بذلك عن الطابع الدولي لمؤتمر مانشستر ودعا إلى استبدال النخبة الحاكمة بأخرى أكثر ديناميكية، تتمثل في إشراك الناس العاديين في الحياة السياسية، مخالفاً بذلك الرؤية التوافقية التي سعى إليها اتحاد النقابات التجارية الماليزية، الذي كان يميل إلى إصلاح النظام القائم بدل تغييره. بدأ نكروما مسيرته السياسية في الحزب الشيوعي الكمبودي بوصفه ممثلاً للقومية الإفريقية، إذ ركّز في البداية على تعزيز الوحدة الإقليمية لغرب إفريقيا، ثم دعا إلى الوحدة القارية بهدف القضاء على الاستعمار وتحويل النظام السياسي في القارة[56].

زار نكروما جامعة لينكولن(Lincoln University) في الولايات المتحدة الأمريكية في الخامس من حزيران 1951؛ لإلقاء كلمة خلال منحه درجة الدكتوراه الفخرية في القانون. لم يقتصر نكروما على شكر الجامعة على اللقب، بل انتهز الفرصة لعرض المبادئ السياسية التي يتبناها، نافياً تهمة الشيوعية التي وُجّهت إليه[57].

أكد أن الحكم الذاتي ليس غاية في ذاته، بل وسيلة لتحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية لشعب ساحل الذهب. كما استغل نكروما المناسبة للإشادة بماركوس غارفي(By Marcus Garvey)، قائلاً: **"لم يكن هناك وقت أنسب لحركة العودة إلى إفريقيا التي يقودها غارفي من اليوم داعياً الفنيين والعلماء والمدرّسين السود للقدوم إلى غانا الجديدة، إفريقيا الجديدة"** [58].

لم يكتفِ نكروما باستدعاء الأميركيين من أصل إفريقي للعودة، بل حدّد غانا كمركز لإفريقيا والشتات الإفريقي، مجسّداً بذلك مبادئ حركة العودة إلى إفريقيا. وعلى الرغم من مشاركته في الرؤية العابرة للحدود التي دعا إليها بادمور، فإن نكروما كان يؤمن بأن استقلال غانا لن تكون له قيمة ما لم تحصل باقي الدول الإفريقية على استقلالها أيضاً. وقد أدرك بادمور أن القومية كانت شرّاً لا بد منه، لأنها كانت الوسيلة الأنجع في ذلك الزمن لدفع عجلة التحرر في إفريقيا[59].

نجح جورج بادمور، من خلال المنظمة التي أسسها في لندن، في توحيد صفوف الطلاب والعمال الأفارقة، إلى جانب الأشخاص من أصل إفريقي المقيمين في بريطانيا، وتنظيمهم سياسياً. ومثّل ذلك نقلة نوعية، إذ لم تسبق هذه المنظمة أية مبادرة مشابهة في العمل السياسي الموحد لهؤلاء الفاعلين[60].

استند بادمور في مساره الفكري إلى تحليل الأوضاع المعيشية للعمال والفلاحين السود في مختلف أنحاء العالم، وكان حريصاً على إعداد تقارير تفصيلية حول النضالات المناهضة للإمبريالية والاستعمار عبر العصور. ووفقاً له، فإن البعد العنصري كان جوهرياً في بنية الاستعمار؛ فقد تم تكريس السيطرة الاستعمارية عبر آليات عنصرية، لابسبب فروقات متعلقة بالكفاءة أو القدرات الفردية للسود. فالاستعمار، كما رأى، لم يكن فقط استغلالاً اقتصادياً، بل كان أيضاً مبنياً على تفوق عنصري استغلّته القوى الإمبريالية لتحقيق مصالحها[61].

أكد بادمور على أن السود كانوا يتحمّلون عبئاً مزدوجاً: عبء العرق وعبء الطبقة. فاستغلالهم الطبقي كعمال في ظل الاستعمار كان أشد وحشية من استغلال البروليتاريا (Proletariat) في الدول الصناعية، وذلك بسبب موقعهم الاستعماري. أما استعبادهم العنصري، فقد اتخذ طابعاً أكثر قسوة من القمع الطبقي التقليدي، وهو ما جعله يرى في الاستعمار والإمبريالية تجسيداً للعنصرية، ومكوّنين أساسيين في بنية الرأسمالية العالمية [62].

في رؤيته الشاملة، عدّ بادمور أن القارة الإفريقية قد تحوّلت إلى محيط زراعي يخدم مصالح البلدان الصناعية الغربية، كمصدر للمواد الخام، وسوق لتصريف السلع المصنّعة، فضلًا عن كونها ميداناً للاستثمارات في استخراج المعادن، وبناء البنية التحتية، وتوفير الأراضي للمستوطنين الأوروبيين، ذلك التصور وجد صداه أيضاً في فكر كوامي نكروما، الذي عبّر في كتابه نحو الحرية الاستعمارية عن أن هدف الحكومات الاستعمارية لم يكن سوى الاستغلال الاقتصادي للقارة، إذ تحولت إفريقيا إلى مكب للنفايات الصناعية، وسوق لترويج المنتجات المصنّعة، وتُركت شعوبها في موقع التلقي السلبي لهذا النظام المفروض، وذهب بادمور إلى الربط بين الإمبريالية والفاشية، وعدّ أن ما قامت به بريطانيا وفرنسا في مستعمراتهما لا يقل عن ممارسات النازية الألمانية، إذ إن كليهما كان يسعى إلى التوسع وبسط الهيمنة، متّكئاً على العنصرية كآلية للسيطرة. لذلك، رأى بادمور أن الإمبريالية يجب أن تُقاوَم، باعتبارها الوجه الاستعماري للرأسمالية المعزّزة بالعنصرية. من جهته، شارك نكروما بادمور نفس الرؤية، وأقرّ بتعقيدات النظام الإمبريالي، ووجوب مواجهته بمختلف جوانبه: من مبدأ الاستقلال، إلى مبدأ الشراكة أو الوصاية، ثم مبدأ الاستيعاب. وعلى الرغم من تبنّيه لقراءة ماركسية للإمبريالية، متأثراً بكتابات لينين، إلا أن نكروما لم يغفل أهمية العامل العنصري، مدركًا أن الهيمنة الإمبريالية لا تكتمل إلا من خلال قمع السود واستغلالهم المزدوج عرقياً وطبقياً[63].

ترى الباحثة ان مؤتمر مانشستر عام 1945 شكّل نقطة تحوّل مفصلية في تاريخ القومية الإفريقية، إذ مهّد لانتقال الحركة الإفريقية من طور النخبوية والشتات إلى طور الحراك الشعبي والتنظيم السياسي الفعّال

داخل القارة. وقد أسهم كلٌّ من جورج بادمور وكوامي نكروما في بلورة هذا التحوّل من خلال صياغة خطاب تحرري جامع، جمع بين الأبعاد الفكرية الماركسية، وتجارب المقاومة الإفريقية، والدعوة إلى وحدة القارة في مواجهة الاستعمار والرأسمالية العالمية، إن الدور الذي أدّاه المؤتمر لا يقتصر على كونه ملتقى نضاليًا، بل يعدّ بمثابة منصة تأسيسية للفكر القومي الإفريقي المعاصر، إذ تم خلاله تأكيد مركزية الكفاح من الداخل، ورفض أشكال التعاون مع الاستعمار، والدعوة إلى بناء جبهات وطنية قوية ترتكز على التعليم والتنظيم السياسي والمشاركة الشعبية. كما أظهر المؤتمر وعيًا متقدمًا بترابط قضايا التحرر الإفريقي مع الحركات المناهضة للتمييز العنصري والاستغلال الطبقي على مستوى عالمي، وعليه، يمكن القول إن مؤتمر مانشستر لم يكن مجرد حدث تاريخي عابر، بل مثّل إطارًا أيديولوجيًا وحركيًا ساعد على تسريع استقلال العديد من الدول الإفريقية في العقود اللاحقة، ورسّخ أسس التضامن الإفريقي لابوصفه شعارًا عاطفيًا بل كمشروع تحرري له جذوره الفكرية والتنظيمية.

الخاتمة

يتضح من خلال استعراض مسار القومية الإفريقية أنّ الوعي التحرري في القارة لم يكن وليد اللحظة، بل هو نتاج تراكم فكري ونضالي طويل ارتبط بتجارب الاغتراب، ومواجهة الاستعمار، وتفاعل المثقفين والسياسيين الأفارقة مع الحركات العالمية المناهضة للهيمنة الإمبريالية. فقد شكّل مؤتمر مانشستر 1945 نقطة تحوّل مفصلية، حيث تبلورت فيه المطالب الجماعية بالاستقلال والوحدة، وبرزت قيادات لعبت أدوارًا مركزية مثل جورج بادمور وكوامي نكروما وغيرهما. كما ساهمت الروابط الطلابية والتنظيمات السياسية في المهجر وفي داخل القارة في خلق فضاء مشترك لتبادل الأفكار وصياغة استراتيجيات المقاومة، أفرزت هذه الجهود ديناميكية جديدة أسهمت في سقوط الاستعمار الأوروبي خلال عقدي الخمسينيات والستينيات، وفتحت المجال أمام بناء دول وطنية تسعى إلى تحقيق التنمية والسيادة. غير أنّ الطريق لم يكن سهلاً، إذ واجهت هذه الحركات تحديات داخلية وخارجية مرتبطة بالانقسامات الإثنية والجغرافية، وباستمرار النفوذ الغربي في أشكال جديدة. ومع ذلك، تبقى القومية الإفريقية تجربة رائدة في التاريخ الحديث، إذ مثّلت تعبيرًا عن إرادة الشعوب في استعادة كرامتها وتقرير مصيرها، وأسست لوعي جماعي ما يزال يلهم الحركات التحررية والوحدوية في القارة حتى اليوم.

قائمة المصادر

أولًا: الوثائق

1. George Padmore para-Kwame Nkrumah, Lomay, 10 May 1954, Nkrumah MSS, Howard University, Box 134–41, Pasta ly.

ثانيًا: الكتب

1. Ames R. Hooker, The Black Revolutionary: George Padmore's Path from Communism to Pan-Africanism, Frederick A. Praeger, New York, 1967.

2. Bankole, Timothy, Kwame Nkrumah: His Rise to Power, George Allen Unwin, London, 1963.
3. C. L. R. James, Nkrumah and the Ghana Revolution, Alison & Busby, London, 1977.
4. Carol Polsgrove, Ending British Rule in Africa: A Book in Common Cause, Manchester University Press, Manchester, 2009.
5. Denis Austin, Politics in Ghana, 1946-1960, Oxford University Press, London, 1964.
6. George Padmore, African Nationalism or Communism? The Coming Struggle for Africa, African Presence, 1960.
7. George Padmore, The Gold Coast Revolt, Denis Dobson, London, 1953.
8. George Padmore, The Life and Struggles of the Negro Workers, International Red Cross and Red Crescent Union, London, 1931.
9. Hakim Adi, West Africa in Britain, 1900–1960: Nationalism, African Nationalism, and Communism, Lawrence and Wishart, London, 1998.
10. Joseph Appiah, Joe Appiah: The Autobiography of an African Patriot, Praeger, Nova Scotia, 1990.
11. Kwame Nkrumah, Autobiography, The African Presence, Paris, 1960.
12. Kwame Nkrumah, Towards Colonial Freedom, Heinemann, London, 1947.
13. Kwame Nkrumah, Ghana: The Autobiography of Kwame Nkrumah, Thomas Nelson and Sons, New York, 1957.
14. Leslie James, Decolonization from Below: Afro-Caribbean Writers and the Politics of the People, Palgrave Macmillan, London, 2015.
15. Manning Marable, African and Caribbean Politics from Kwame Nkrumah to the Grenada Revolution, Verso, London, 1987.
16. Marika Sherwood, Kwame Nkrumah: The Years Abroad 1935-1947, Freedom Publications, Legon, Ghana, 1996.
17. T. Ras Makonnen, Pan-Africanism from Within, ed. Kenneth King, Oxford University Press, Oxford, 1973.
18. Richard Wright, Black Power, Harper Perennial, London, 2008.
19. As for Benny, The Political and Social Thought of Kwame Nkrumah, Palgrave Macmillan, London, 2011.
20. John R. Hooker, The Black Revolutionary: George Padmore's Path from Communism to Pan-Africanism, Nova Lovke, 1967.

21. Olin Legum, Socialism in Ghana: A Political Interpretation, in African Socialism, eds. William Freedland and Carl Rosberg, Stanford University Press, Stanford, California, 1964.

ثالثًا: البحوث والمقالات

1. B. D. G. Folsom, The Development of Socialist Ideology in Ghana, 1949-1959, Ghana Journal of Social Sciences, No. 40, May 1971.
2. Marika Sherwood, The Quest for African Unity in the United Kingdom 1945–1948, Contemporary Journal of African Studies, Vol. 5, No. 1, 2017.
3. St. Clair Drake and George Shepperton, The Fifth Pan-African Congress, 1945 and the Pan-African Congress, Contributions to Black Studies, No. 8, 1986–1987.

رابعًا: الرسائل الأطاريح

1. Rukudzo Moraba, Padmore's Role in the African Liberation Movement, Unpublished Ph.D. Dissertation, College of Humanities and Social Sciences, Northern Illinois University, 1974.

الصحف

1. George Padmore para-Kwame Nkrumah, Throws the Challenge, West African Post, 19 de outubro de 1952.
2. Georg Padmor, Dr. Kwame Nkrumah: First African Prime Minister, West African Post, 11 de Junho de 1925.

الهوامش

)1(Marika Sherwood, The Quest for African Unity in the United Kingdom 1945–1948, Contemporary Journal of African Studies, Vol. 5, No. 1, 2017, pp. 62–65.
)2(Ibid.
)3(Ibid,p69.
)4(Quoted from:Marika Sherwood, Op.Cit.,p66.
)5(Ibid.,pp66-70.
)6(George Padmore, African Nationalism or Communism? The Coming Struggle for Africa, African Presence, 1960, pp. 355-356.
(7)George Padmore, African Nationalism or Communism,p357.

)8(Marika Sherwood, Op.Cit.,p75.
)9(Ames R. Hooker, The Black Revolutionary: George Padmore's Path from Communism to Pan-Africanism, Frederick A. Praeger, New York, 1967, p. 109.
(10)Hakim Adi, West Africa in Britain, 1900–1960: Nationalism, African Nationalism, and Communism, Lawrence and Wishart, London, 1998,p 77.
)11(Ibid,p78.
)12(Kwame Nkrumah, Towards Colonial Freedom, Heinemann, London, 1947 , p. 15.
)13(Kwame Nkrumah, Towards Colonial Freedom,p16.
(14)Ibid,p17.
)15(Quoted from:Kwame Nkrumah, Autobiography, The African Presence, Paris, 1960, p. 18.
(16)John R. Hooker, The Black Revolutionary: George Padmore's Path from Communism to Pan-Africanism, Nova Lovke, 1967, p. 91.
)17(Quoted from:Ibid, p. 92.
(18)Ibid,p93.
)19(Quoted from:John R. Hooker, Op.Cit,p95.
(20)Ibid,p96.
)21(Quoted from: Ibid,p97.
(22)Quoted from: Joseph Appiah, Joe Appiah: The Autobiography of an African Patriot, Praeger, Nova Scotia, 1990, p. 163.
)23(Ibid,p164.
)24(Joseph Appiah, Op.Cit,p163.
(25)Marika Sherwood, Kwame Nkrumah: The Years Abroad 1935-1947, Freedom Publications, Legon, Ghana, 1996,.p. 127.
(26)Ibid, pp. 129-131.
(27)Rukudzo Moraba, Padmore's Role in the African Liberation Movement, Unpublished Ph.D. Dissertation, College of Humanities and Social Sciences, Northern Illinois University, 1974, 170-272.
)28(Carol Polsgrove, Ending British Rule in Africa: A Book in Common Cause, Manchester University Press, Manchester, 2009, p. 70.
)29(Ibid, p.171.
)30(Hakim Adi, Op.Cit.pp 130–131.
)31(Denis Austin, Politics in Ghana, 1946-1960, Oxford University Press, London, 1964,p154.
)32(T. Ras Makonnen, Pan-Africanism from Within, ed. Kenneth King, Oxford University Press, Oxford, 1973, p. 263.
)33(Joseph Appiah, Op.Cit, p.169.
)34(Quoted from: Ibid,p170.

)35(Ibid.
)36(T. Ras Makonnen, Op.Cit, p.264.
)37(Kwame Nkrumah. Chana: The Autobiograph of Kwame Nkrumah. Nova torque: Thomas Nelson and Sons, 1957, p. 50.
)38(Olin Legum, Socialism in Ghana: A Political Interpretation, in African Socialism, eds. William Freedland and Carl Rosberg, Stanford University Press, Stanford, California, 1964, pp. 131-160.
)39(George Padmore para-Kwame Nkrumah, Lomay 1954, Nkrumah, 10 May 1954. Nkrumah mss, Howard, box 134-41, Pasta ly.
)40(George Padmore para-Kwame Nkrumah, Throws the challenge, west African Post, 19 de outubro de 1952.
(41)Quoted from: Olin Legum,Op.Cit.,p 161.
(42)Quoted from :Georg Padmor, Dr Kwame Nkrumah. first African Prim Ministers, West African Post, 11 de Junho de 1925.
)43(Manning Marrable, African and Caribbean Politics from Kwame Nkrumah to the Grenada Revolution London verso, 1987, P.106.
)44(Dennis Austin, Politice in Ghana, 1946-1960, oxford, oxford university Press, 1964, p. 54.
)45(Ibid,p. 55.
)46(Dennis Austin, Op.Cit, p.108.
)47(Richard wight, Black Power, Londres, Harper perennial, 2008, p. 212.
)48(Richard wight, Op.Cit,,p213.
)49(Ibid.
)50(St. Clair Drake and George Shepperton, The Fifth Pan-African Congress, 1945 and the Pan-African Congress, 1945 and the Pan-African Congress, 1968, Contributions to Black Studies, No. 8, 1986-1987, p. 24.
(51)St. Clair Drake and George Shepperton, Op.Cit.,p25.
(52)Richard wight, Op.Cit.,p 214.
)53(George Padmore, The Gold Coast Revolt, Denis Dobson, London, 1953. p. 67.
)54(George Padmore ,Op.Cit, p. 184.
)55(Bankole, Timothy, Kwame Nkrumah: His Rise to Power, George Allen Unwin, London, 1963, p. 140.
)56(As for Benny, The Political and Social Thought of Kwame Nkrumah, Palgrave Macmillan, London, 2011, p. 289.
)57(Leslie James, Decolonization from Below: Afro-Caribbean Writers and the Politics of the People, Palgrave Macmillan, London, 2015, p. 16.
)58(Quoted from: B. D. G. Folsom, The Development of Socialist Ideology in Ghana, 1949-1959, Ghana Journal of Social Sciences, No. 40, May 1971, pp. 1-20.

)59(C. L. R. James, Nkrumah and the Ghana Revolution, Alison & Busby, London, 1977, p. 77.
)60(George Padmore, The Life and Struggles of the Negro Workers, International Red Cross and Red Crescent Union, London, 1931, p. 5.
)61(C. L. R. James , Op.Cit, p. 77.
)62(Ibid,p78.
.9, p. 7Ibid)63(